مجلة الباحث – المدرسة العليا للأساتذة الشيخ العلامة مبارك بن محمد إبراهيمي الميلي الجزائري – بوزريعة – الجزائر

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 342–355	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

تجليات معيار التّناص في التّراث البلاغي والنّقدي

MANIFESTATIONS OF THE CRITERION OF INTERTEXTUALITY IN RHETORICAL AND CRITICAL HERITAGE

سامية بن زروق

جامعة امحمّد بوقرّة، بومرداس، الجزائر

s.benzerroug@univ-boumerdes.dz

تاريخ الإرسال: 2025/04/13 تاريخ القبول: 2026/08/17 تاريخ النشر: 2026/09/30

ملخص:

تسعى هذه الورقة إلى البحث عن جذور اللّسانيات النّصية في التّراث العربي النّقدي والبلاغي بغية إثبات أسبقية العرب إلى هذا الدّرس، ومن ثمّ تفنيد تلك الأقاويل التي تنادي بأنّ لسانيات النّص علم حديث ومعاصر غربي المنبت والنّشأة؛ ونظراً لتشعّب مباحث هذ العلم؛ سنسلّط الضّوء على معيار من معايير اللّسانيات النّصية يتعلّق الأمر بمعيار التّناص، محاولين في ذلك الإجابة عن الإشكالية التالية: – هل عرف العرب معيار التناص؟ وهل عملوا به في مباحثهم البلاغية والنّقدية؟

وللإجابة عن الإشكالية المطروحة اعتمدنا على المنهج التاريخي الوصفي؛ من خلال قراءة بعض المدونات التراثية ومن ثمّ وصفها مستعينين في ذلك بألية التحليل، وقد توصّلنا في نهاية البحث إلى أن تراثنا العربي يزخر بالعديد من مفاهيم لسانيات النّص ولا سيما معيار التّناص الذي كان بارزاً بقوّة في مدوّناتهم.

الكلمات المفتاحية:

البلاغي؛ التراث؛ التناص؛ لسانيات؛ النقدي.

Abstract:

This research paper seeks to explore the roots of textual linguistics in the Arab critical and rhetorical heritage, with the aim of proving the Arabs' precedence in this study, and then refuting those sayings that claim that textual linguistics is a modern and contemporary science of Western origin and development. Given the diversity of the topics of this science, we will shed light on a criterion of textual linguistics related to the criterion of intertextuality, attempting in doing so to answer the following problem:

Did the Arabs recognize the criterion of intertextuality? Did they apply it in their rhetorical and rhetorical studies?

To answer the question posed, we relied on the descriptive historical method by reading some heritage texts and then describing them using the analytical mechanism. At the end of the research, we concluded that our Arab heritage abounds with numerous concepts of textual linguistics, particularly the criterion of intertextuality, which was strongly prominent in their texts.

Keywords:

Critical ; Heritage ; Intertextuality ; Linguistics ; Rhetorical.

المجلد: (18) | العدد: (03) | السنة: 2026 | صفحات المقال: 342–355 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

1. مقدمة:

يُعَدُّ مصطلحُ **التناصّ** من المصطلحات النّقدية الحديثة التي صاغتها النّاقدة البلغاريةJulia Kristeva (جوليا كرستيفا) سنة 1963؛ إذ يرجع الفضل إليها في بلورة هذا المفهوم وتأسيسه ضمن الحقل النّقدي المعاصر. وقد تبنّته بعد ذلك البنيوية الفرنسية، ثم توسّعت فيه الاتّجاهات السّيميائية والتّفكيكية في كتابات عدد من النّقاد، من أبرزهم Roland Barthes و Tzvetan Todorovوغيرهما[1] .

ويحيل مفهوم **التناص** إلى تفاعل النّصوص وتداخلها داخل نصّ واحد، إذ يستحيل – في نظر كريستيفا – أن يُبدع الأديب في نصّه انطلاقًا من فراغ أو بمعزل عن رصيد ثقافي وأدبي سابق؛ بل إنّ كلّ نصّ يتّكئ، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، على مرجعيات متعدّدة تتقاطع فيها الأفكار والتّعابير والأساليب. وقد عدَّه كلٌّ من (Robert de Beaugrande) (**روبارت دي بوجرند**)و (**ديسلر**) (Wolfgang Dressler) معيارًا سابعًا من معايير النّصية، إلى جانب القصدية، والمقبولية، والإعلامية، والمقامية، والسّبك، والحبك.

وعلى الرّغم من حداثة المصطلح في النّقد الغربي؛ إلّا أنّ جوهر هذا المفهوم لم يكن غريبًا عن التّراث النّقدي العربي؛ بل عرفه النّقاد والأدباء العرب القدماء في صور متعدّدة، وتجلّى في إنتاجاتهم الأدبية والنّقدية؛ وإن اختلفت التّسميات والمقاربات؛ حيث سمّي عندهم بمصطلحات أخرى كالسّرقات الشّعرية، والانتحال، والاقتباس، والتّضمين، والمعارضات ...إلخ، وسنحاول من خلال بحثنا هذا أن نعود إلى تراثِنا البلاغي والنّقدي بغية تأكيد أسبقيتهم إلى معرفة هذه الفكرة والتّعامل معها في نصوصهم، ومن ثمّ نفنّد تلك الآراء التي تدّعي بأنّه مصطلح حديث النّشأة يُدرس ضمن ما يُعرف بلسانيات النّص؛ ولهذا جاءت إشكالية البحث كما يلي:

–هل عرف العرب معيار التّناص؟ وهل أشاروا إليه في مباحثهم البلاغية والنقدية؟

اعتمدنا في دراستنا هذه على المنهجين التاريخي والوصفي مستعينين في ذلك بآلية التّحليل.

ومن بين الفرضيات التي بنينا عليها بحثنا هذا نذكر:

–عرف العرب دراسات نصّية بمفهومها الحديث.

–عرف علماء البلاغة والنّقد معيار التّناص، وأشاروا إلى ماهيته وأهميته في أبحاثهم.

–عمل الأدباء بمعيار التّناص في إنتاجاتهم الأدبية.

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 342–355	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

.2. قراءة في مصطلحات ومفاهيم الدّراسة:

2-2-ماهية لسانيات النّص:

أ/ **مفهوم السانيات النص** (Texte linguistique) **اللسانيات النصية هي فرع من فروع اللسانيات الحديثة 1يهتم بدراسة النصّ بوصفه وحدة لغوية متكاملة، وليس مجرد جملة أو مجموعة جمل. بمعنى آخر، لا تركز فقط على الجمل المفردة، بل تركز على العلاقات التي تربط الجمل معًا لتكوّن نصًا مترابطًا ومتماسكًا.** وقد اختلف الباحثون في هذا العلم في تحديد مصطلح واحد للدلالة عليه، فهو (Textologie) عند هارفيج، وقد ارتضاه سعيد حسن بحيري[(2)]، وهو "علم دلالة النّص" و"علم نحو النص" و"التداولية النصية" عند درسلر، وهو عند سوينسكي "لسانيات النص"؛ لأنه الأنسب والأجمع لكل بحوث النّص، بينما اختلف المترجمون فيه ما بين "علم اللغة النص"، و"علم اللغة النَّصي"، و"نحو النص"، و"الألسنية النصية"، و"علم النص".

ظهرت **اللسانيات النصية** في **النصف الثاني من القرن العشرين**، وانطلقت أساسًا في **أوروبا**، خاصةً في **ألمانيا وهولندا**، ثم تطوّرت لاحقًا في **أمريكا** نتيجةً لتطوّر علم اللّسانيات وظهور الحاجة إلى تجاوز حدود **تحليل الجملة** نحو دراسة **النّص الكامل** كوحدة دلالية متماسكة.

ب-الخلفية التّاريخية والفكرية لظهور اللّسانيات النّصية:

قبل ظهور اللسانيات النصية، كانت **اللسانيات البنيوية والتحويلية التوليدية** تركزان على **الجملة** باعتبارها الحدّ الأعلى للتحليل. لكن مع مرور الوقت، أدرك اللّغويون أن:

- الجملة الواحدة لا تعبّر دائمًا عن معنى متكامل.
- كثير من الظواهر اللغوية لا يمكن تفسيرها إلا في سياق **نصيّ** أوسع.

وهنا ظهرت الحاجة إلى علم جديد يهتم بتحليل **الروابط بين الجمل**، وبدراسة كيفية بناء المعنى في **نصوص كاملة**. ومن اهم العوامل التي ساعدت على ظهوره تطوّر نظريات **التواصل والبراغما تيك**)وعلم استعمال اللغة، بالإضافة إلى. التأثير المتبادل بين **اللسانيات وعلم النفس وعلم الاجتماع**.الانفتاح على **الخطاب** وتحليل **النصوص الأدبية، والإعلامية، والسياسية، ومن أبرز مؤسسي هذا العلم نذكر:روبرت دي بوجراند** (Robert de Beaugrande)،**وفان دايك** (Teun A. van Dijk) هذان العالمان نشرا كتابًا مشتركًا شهيرًا عام **1981**بعنوان" :*مقدمة في اللسانيات النصية: مقدمة بحثية*(Introduction to Text Linguistics)" وقد اعتُبر هذا الكتاب مرجعًا تأسيسيًا في هذا المجال.

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 342–355	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

ج–مراحل تطوّر اللّسانيات النّصية

أولاً– مراحل تطوّر اللسانيات النصية مرّت اللّسانيات النّصية بثلاث مراحل رئيسية نوجزها فيما يلي:

1. المرحلة التأسيسية (السبعينيات – بداية الثمانينيات): تميّزت بظهور مفاهيم جديدة مثل: التماسك، الانسجام، البنية الخطابية...، بالإضافة إلى ظهور أعمال رائدة لـــــ فان دايك ودي بوجراند.

2. مرحلة الانفتاح على العلوم الأخرى : وهي المرحلة التي التقت فيها اللسانيات النصية بعلوم مأخرى ثل :**علم النفس، علم الاجتماع، علم التواصل، . بالإضافة إلى** ظهور مباحث **تحليل الخطاب والتحليل التداولي** بوصفهما امتدادًا لها.

3. المرحلة المعاصرة (من التسعينيات حتى اليوم هذا): وهي المرحلة التي عرفت تطوراً واضحاً، وهذا ما يتجلّى في دخول اللسانيات النصية إلى مجالات التكنولوجيا والذكاء الاصطناعي، واستعمالها في **تحليل النصوص الرقمية**، الإعلامية، والمواقع الاجتماعية.؛ لا سيما مع تطور أدوات رقمية لتحوليل النصوص بشكل آلي.

د –أهداف اللّسانيات النّصية: تسعى اللسانيات النصية إلى تحقيق مجموعة من الأهداف اللغوية والمعرفية، من أبرزها:

1–تحليل النص كوحدة لغوية كاملة: بحيث تهدف إلى تجاوز حدود الجملة وتحليل **العلاقات بين الجمل** داخل النص. كما أنّها تعتبر النص وحدة دلالية متماسكة لا يمكن فهمها بمجرد النظر إلى الجمل المنفردة.

2–الكشف عن آليات التماسك والانسجام: وذلك من خلال دراسة كيفية بناء **العلاقات النحوية والدلالية** داخل النص، وتحليل الأدوات التي تُستخدم لتحقيق **الترابط** بين الجمل (كالضمائر، أدوات الربط، التكرار، الحذف...).

3–**فهم البنية الخطابية للنص**: فهي تهتم بكيفية بناء **الخطاب** في مختلف أنواع النصوص: الأدبية، العلمية، السياسية، الإعلامية...، كما تعنى بدراسة **أنماط تنظيم المعلومات** داخل النص (مقدمة، عرض، خاتمة...).

4.فهم العلاقة بين النص والسياق: تركّز لسانيات النّص على دراسة العلاقة بين **النص والظروف المحيطة به**) من يتكلم؟ لمن؟ لماذا؟ متى؟ وأين؟ وتسعى إلى .تحليل كيفية تأثير **القصد والمقام** في بنية النص.

5.خدمة مجالات معرفية متعددة: فهي تُستخدم في مجالات كثيرة نذكر منها:

–تحليل الخطاب.

–تعليم اللغات.

–الترجمة.

–اللسانيات الحاسوبية.

المجلد: (18) | العدد: (03) | السنة: 2026 | صفحات المقال: 342–355 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

-الذكاء الاصطناعي خاصة في فهم اللغة الطبيعية.(NLP)

2.3معايير اللّسانيات النصية:

وعددها سبعة وضعها علماء اللّسانيات النصية (لاسيما دي بوجراند وفان دايك)، وهي التي تحدد نصية النّص، بحيث يُشترط توفّرها جميعاً في النّص حتى تحقق النصية؛ فمن خلالها يمكن تحديد ما إذا كان الخطاب لغوي نصًا حقيقيًا، أم أنّه مجرد تجميع عشوائي من الجمل. وهي تتمثّل في:

1.الترابط أو التماسك(Cohesion) تتمثّل في الروابط الشكلية بين الجمل، مثل:

- أدوات الربط (و، لكن، لأن...)
- الضمائر (هو، هم، هذا...)
- التكرار، الإحالة، الحذف...

2. **الانسجام أو الاتساق**(Coherence) يتعلّق بالمعنى الكلي للنص ومدى ترابط الأفكار داخله.

3. **القصد**(Intentionality) يعني أن يكون للنص هدف أو نية من وراء إنتاجه، كالإخبار، الإقناع، الترفيه...

4. **القبول**: (Acceptability) ويتعلّق بتوقّعات المتلقي؛ هل يرى المتلقي هذا النص مناسبًا ومقبولًا ضمن السياق؟

5.لإعلامية(Informativity) يشير إلى مقدار المعلومات الجديدة التي يقدمها النّص للمتلقّي، ومدى اختلافها عن توقعاته.

6. **الموقفية**(Situationality) يعني أن يكون النص مرتبطًا بسياق معين (زمان، مكان، حدث...)، فالنص الجيد يناسب ظرفه.

7.التناص(Intertextuality) يدلّ على العلاقة بين النّصوص؛ أي أن النص يعتمد على نصوص سابقة، أو يُلمّح لها.

3. تجليات التّناص في التراث البلاغي والنّقدي:

ينبغي علينا بادئا ذي بدئ أن نقف فيما يلي عند مفهوم **التّناص** عند المحدثين؛ ولا سيما عند الغربيين منهم قبل العودة إلى التّراث العربي حتى تكون الدّراسة أكثر موضوعية.

المجلد: (18) | العدد: (03) | السنة: 2026 | صفحات المقال: 342–355 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

1.3 التّناص عند المحدثين:

تطوّر مصطلح التّناص ليصبح في نهاية الثّمانينيات من القرن العشرين نظريةً قائمة بذاتها، اكتسحت الساحة الأدبية والنّقدية، على يد " **دي بوجراند**" (De Beaugrande) وذلك بعد أن وضع سبعة معايير هي: السبك، والحبك، والقصدية، والتقبلية، والاعلامية والمقامية، والتناص واشرط توفّرها جميعاً في النّص حتى يسمّى النّص نصاً[3].

وقد أحدثت هذه النّظرية ثورة على مستوى الدّلالة والسيمائيات، واجتهد كثير من الباحثين الغربيين من أجل وضع تعريف واضح للتّناص، ومن هؤلاء نذكر، "**جوليا كريستيفا**" التي تعتقد بأنّ: " التّناص هو فسيفساء أو تحويل لنصوص أخرى"[4]، و"**رولان بارث**" الذي يرى بأنّ النّص ما هو إلاّ " نسيج من الاقتباسات والإحالات والأصداء من اللغات الثّقافية السّابقة أو المعاصرة التي تخترقه بكامله"[5].

أمّا "**ريفاتير**" فيعرّفه بقوله:" أنّ التّناص ملاحظة القارئ لعلاقات بين نصّ أدبي، وأعمال أخرى سابقة ولاحقة عليه."[6]، في حين يرى "**دي بوقراند**": " التّناص عبارة عن علاقات بين نص و نصوص أخرى مرتبطة به وعت في حدود تجربة سابقة سواء بواسطة أم بغير وساطة"[7]، ومثلما بحث الغربيون في موضوع التّناص وأفاضوا الحديث فيه، تحدّث عنه العرب المحدثون وحاولوا أن يقدّموا تعريفاً له أيضاً من وجهة نظرهم، ونذكر من هؤلاء "**عبد المالك مرتاض**" **هذا الأخير الذي شبّهه** بالأكسجين الذي نستنشقه لكنّنا لا نراه، فها هو يقول:" إنّ هذا التّناص للنّص الإبداعي، كالأكسجين الذي يُشمّ ولا يُرى، ومع ذلك لا أحد من العقلاء ينكر بأنّ كلّ الأمكنة تحتويه، وأنّ انعدامه يعني الاختلاف.

" وربّما وجه الشّبه في ذلك يكمن في انتشاره بين الأدباء في جميع أنحاء العالم، وعدم قدرتهم على الاستغناء عنه، وقد تحدّث "**عمر أوكان**" عن كيفية حدوث التّناص، فاعتبره "تبادلاً، حواراً، رباطاً، اتحاداً، تفاعلا بين نصّين أو عدة نصوص في النّص، تلتقي هذه النّصوص تتصارع يبطل أحدهما الآخر، تتساكن، تلتحم، تتعانق، إذ ينجح النّص في استيعابه للنّصوص الأخرى وتدميرها في ذات الوقت .إنّه ثبات ونفي وتركيب[8]".

كما يجب أن نشير في هذا المقام إلى الباحثين الذين بحثوا عن جذور التّناص في التّراث العربي، يتقدّمهم "**محمّد عبد المطّلب**"، هذا الأخير الذي حاول أن يترصّده في جهود عبد القاهر الجرجاني، فألّف كتابه" التّناص عند عبد القاهر الجرجاني"، **و"محمّد مفتاح"** وكتابه" تحليل الخطاب الشّعري (استراتيجية التّناص)"، **وعبد المالك مرتاض** وكتابه " ظاهرة السّرقات الأدبية ونظرية التّناص" والخطيئة والتّفكير **للغدامي** وغيرهم، وقد توصّل معظمهم إلى أنّ العرب كانوا سبّاقين إلى قضيّة التّناص قبل الغربين بمئات السّنين وإن لم يستخدموا المصطلح ذاته.

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 342–355	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

ويبدو أنّ التّناص ضرورة حتمية لكلّ أديب مهما بلغ من ثقافةٍ ومستوى فكري، وهذا ما أشار إليه الباحث المغربي "**محمّد مفتاح**"، فها هو يقول إنّ " التّناص لا مناص منه، لأنّه لا فكاك للإنسان من شروطه الزمانية والمكانية، ومحتوياتها، ومن تاريخه الشّخصي، أي من ذاكرته، فأساسُ إنتاج أيّ نصٍّ هو معرفة صاحبه للعالم، وهذه المعرفة ركيزة تأويل النّص من قبل المتلقّي"[9].

2.3 ملامح التّناص في التّراث البلاغي والنّقدي:

صحيح أنّ العرب لم يعرفوا مصطلح **التّناص**، إلاّ أنّهم تعرّفوا على الفكرة وعملوا بها في أغلب نصوصهم، وبدلا من أن يستخدموا المصطلح ذاته استخدموا مصطلحات مختلفة كالاقتباس، والتّضمين، والانتحال، والتّلميح، والتّعريض والسّرقات الشّعرية، والنّقائض، والاحتذاء، والأخذ.

فقد تنبّه النّقاد العرب القدامى إلى قضية **التّناص** وأشاروا إليه في أقوالهم، ويأتي في مقدّمتهم **ابن طباطبا** الذي يقول:" إذا فتّشت أشعار الشّعراء كلّها وجدّتها متناسبة إمّا تناسبا قريبًا أو بعيداً"[10] فهو من خلال هذا التّعريف يلمّح إلى قضية تشابه الشّعر وتقاربه، وهذا "**الحاتمي**" يقول إنّ:" كلام العرب ملتبسٌ بعضهُ ببعضٍ، آخذ أواخره من أوائله والمبتدع منه والمخترع قليل، إذا تصفحته وامتحنته، والمحترس المتحّفظ المطبوع بلاغة وشعرًا من المتقدّمين والمتأخّرين لا يسلم أن يكون كلامه آخذًا من كلام غيره، وإن اجتهد في الاحتراس وتخّلل طريق الكلام، وباعد في المعنى، وأقرب في اللّفظ، وأفَلت من شبّاك التّداخل، فكيف يكون ذلك مع المتكلّف، المتصنّع والمعتمد القاصد"[11]، نفهم من هذا القول أنّ كلام العرب ليس إلا مزيج بين كلام أواخرهم وأوائلهم، والمبتدع منهم قليل جدّا.

وقد تحدّث **ابن رشيق** عن هذه القضية في كتابه "**قراضة الذّهب**" وعزّز ما قاله غيره من النّقاد فقال:" وقد علمنا أنّ الكلام من الكلام مأخوذ وبه متعّلق، والحذق في الأخذ على ضروب"[12]، أمّا "**أبو هلال العسكري**" فقد ميّز بين الأخذ من الغير(التّناص) المحمود والمذموم، وذلك بوضعه لمعايير تحّدد متى يكون عيباً كالنّقل الحرفي للكلام، أو تحريفه إمّا بالزّيادة أو النّقصان، وهذا ما يتجلّى في قوله" :" قد أطبق المتقدّمون والمتأخّرون على تداول المعاني بينهم، فليس على أحد فيه عيب إلا إذا أخذه بلفظه كّله، أو أخذه فأفسده وقصّر فيه عمن تقدّمه، وربّما أخذ الشّاعر القول المشهور و لم يبالِ"[13].

وإنّ المتأمّل قليلاً في هذه الأقوال يجدها تتّفق في كثرٍ من جوانبها مع أقوال علماء النّص المحدثين، لا سيما الغربيين منهم ك جوليـــا كريســـتيفا، ودي بوجراند، وديسلر، ورولان بارت، ممّا يؤكّد إفادتهم كثيراً من التّراث العربي حول مفهوم التّناص[14].

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 342–355	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

وتظهر نظرية التّناص بوضوح في قضية **السّرقات الشّعرية** التي أسالت حبراً كثيراً من نقّادنا العرب قديماً واستقطبت اهتماماهم، والسّرقة لغةً هي كلمة "مشتقّة من الفعل سَرَقَ، واسترق السّمع أي استرق مستخفيًا، والسّارق عند العرب من جاء مستترًا إلى حرز فأخذ منه ما ليس له، فإن أخذ من ظاهر فهو مختلس "[15]، ويبدو أنّ هناك تشابه بين المفهومين اللّغوي والاصطلاحي لكلمة السّرقة، فكلاهما يدّل على معنى الاختلاس والنّهب، وهو الأمر الذي وقع فيه كثير من الأدباء العرب سواء عن قصدٍ أو غير قصدّ، وهذا ما أشار إليه "**رامي أبو شهاب**" في مقال له بعنوان:" مصطلح السّرقات الأدبية والتّناص" إذ يرى أن للتّناص شكلين أو مظهرين هما:تناص ظاهر وواضح يمكن الإمساك به من خلال الاقتباس والتضمين والمعارضات، والتّلميح، وتناص مستتر غير مباشر ويتمثل في الموروث الفكري والثقافي للمبدع، وهذا النّوع من التّناص يصعب على المتلقّي إدراكه أو اكتشافه[16].

وفي حقيقة الأمر إنّ موضوع السّرقات الشّعرية هو موضوع قديمٌ قدمَ العصرِ الجاهلي، ظهر حينما شاعتْ قضية سرقة بعض الشّعراء لنصوص شعرية، كسرقتِهم من شعر امرئ القيس ومحاكاته، وقد تحدّث "**ابن قتيبة**" عن ذلك في كتابه "الشّعر والشّعراء" من خلال استحضاره لبيت "**طرفة بن العبد**":

وقوفًا بها صحبي عليّ مطيهم يقولون: لا تهلك أسى وتجلّد[17]

هذا البيت الذي سرقه فيما يبدو من معلّقة امرئ القيس المشهورة

وقوفًا بها صحبي عليّ مطيهم يقولون: لا تهلك أسى وتجمّلي[18]

إذ إنّ القارئ يشعر لأوّل وهلة بتطابق البيتين، لولا لفظة **تجلّد** التي وظّفها **طرفة** عوضا من لفظة **تجمّلي** التي استخدمها امرئ القيس[19].

ومن أمثلة ذلك بيت "**أبي فراس الحمداني**" الذي أخذه من عنترة بن شدّاد إذ يقول:

سَيَذكُرُني قَومي إذا جَدَّ جِدُّهُم وَفي اللَيلَةِ الظَلماءِ يُفتَقَدُ البَدرُ

وقد قال قبله **عنترة بن شداد:**

سَيَذكُرُني قَومي إذا الخَيلُ أَقبَلَت وَفي اللَيلَةِ الظَلماءِ يُفتَقَدُ البَدرُ

إذ لا نكاد نرى اختلافا سوى في عبارة "جَدَّ جِدُّهُم" التي وظّفها **أبو فراس** بدلا من عبارة الخَيلُ أَقبَلَت التي استخدمها "**عنترة بن شداد**".

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 342–355	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

وقد يأخذ الشّاعر من النّاثر أيضاً أو النّاثر من الشّاعر، ومن أمثلة ذلك ما نجده عند **بديع الزّمان الهمذاني** حيث يقول في المقامة **الجاحظية:" فَأَخَذْنَا فِي وَصْفِ الجَاحِظِ وَلَسَنِهِ، وَحُسْنِ سَنَنِهِ فِي الفَصاحَةِ وَسُنَنِهِ، فِيما عَرَفْنَاهُ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ لِكُلِّ عَمَلٍ رِجَالٌ، وَلِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ، وَلِكُلِّ دَارٍ سُكّانٌ، وَلِكُلِّ زَمَانٍ جَاحِظٌ"**[20]، ويكمن موطن الأخذ في عبارة: "**وَلِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ**"، ويراد به: أنّ لكلّ أمرٍ أو فعلٍ أو كلامٍ موضعًا لا يوضع في غيره، وأوّل من قال ذلك الشّاعر "**طرفة بن العبد**" في شعر يعتذر فيه إلى "**عمرو بن هند**":

تصدَّق عليَّ هداكَ المليكُ * فإنّ لكلِّ مقامٍ مقالاً**[21]

ولا تعدّ هذه الظّاهرة عند "**ابن طباطبا**" عيباً دائما إذا ما أحسن صاحبها استخدامها أو استطاع أن يوطّئ لها توطئةً حسنةً تلحقُه بكلامه فتجعلُه كـــأنّه له وليس لغيره، فيقول في هذا الصّدد" ويحتاج من سلك هذه السبيل إلى ألطاف الحيلة وتدقيق النّظر في تناول المعاني، واستعارتها وتلبيسها حتى تخفى على نقّادها والبصراء بها وينفرد بشهرتها كأنّه غير مسبوق إليها، فيستعمل المعاني المأخوذة في غير الجنس الذي تناولها منه، فإذا وجد معنى لطيفًا في تشبيب أو غزل استعمله في المديح.وإن وجد المعنى اللّطيف في المنثور من الكلام، أو في الخطب والرسائل فتناوله وجعله شعرًا كان أخفى وأحسن ويكون ذلك كالصّائغ الذي يذيب الذّهب والفضّة المصوغين فيعيد صياغتهما بأحسن مما كانا عليه"[22].

فابن "**طباطبا**" من خلال هذا التّعريف يريد أن يعلّم الأدباء الطّرق المثالية في استخدام السّرقات الأدبية إن صحّ التّعبير، فاقترح عليهم أن يكونوا مثل صائغ الذّهب الذي يعرف كيف يتعامل مع الذّهب والفضّة فيخرجهما كيفما يشاء على أحسن صورة.

كما تناول "**الجاحظ**" فكرة السّرقات الأدبية في كتابه **الحيوان** فقال: "لا يعلم في الأرض شاعر تقدّم في تشبيه مصيب تام... ، إلا وكلٌّ من جاء من الشّعراء من بعده، أو معه، إن هو لم يعد على لفظه، فيسرق بعضه أو يدّعيه بأسره، فإنّه لا يدع أن يستعين بالمعنى، ويجعل نفسه شريكًا فيه، كالمعنى الذي تتنازعه الشّعراء، فتختلف ألفاظهم وأعاريض أشعارهم، ولا يكون أحد منه أحقّ بذلك المعنى من صاحبه، أو لعلّه أن يجحد أنّه سمع بذلك المعنى قط، وقال: إنّه خطر على بالي من غير سماع كما خطر على بال الأول"[23].

فالجاحظ هنا يُجزم بشيوع هذه الظّاهرة في الشعر العربي؛ لأنّ معظم الشّعراء إن لم نقل كلّهم يعملون بها، وإذا ما أمعنّا النّظر قليلاً نجده يميّز بين نوعين من السّرقات، سرقة حرفية أي من حيث الشّكل والمضمون، وسرقة المعنى أو الفكرة فقط، وأجاز "**حازم القرطاجنّي**" الأخذ من الغير، وميّز بين الأخذ المحمود والسّرقة المحضة، وذلك من خلال وضعه لشروطٍ" منها أن يُركّب الشّاعر على المعنى آخر، ومنها أنْ يزيد عليه زيادةً حسنةً، وأن ينقلَه إلى موضع أحقّ به من الموضع الذي هو فيه، وأن يقلبه ويسلك به ضدّ ما سلك الأوّل، وأن يُرتّب عليه عبارةً

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 342–355	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

أحسن من العبارة الأولى ممّا وجد فيه بشرط من هذه الشّروط أو ما جرى مجراها فسائغة مجاذبة الشّاعر فيه من تقدّمه، وما ليس داخلاً تحت هذه الشّروط وما جرى مجراها ممّا يزيد في المعنى، زيادة مقبولة فهو سرقة محضة"[24].

أمّا شيخ البلاغة "**عبد القاهر الجرجاني**" فقد كان أكثر المتقدّمين اقتراباً من مفهوم التّناص؛ حيث استطاع أن يتفطّن إلى مبدأ **التّحويل** الذي جاء به علماء النّص المحدثون، وعلى رأسهم النّاقدة البلغارية "**جوليا كريسيفا**" التي " تعتبر من الأوائل الذين أخذوا بمبدأ التّحويل، transposisition بوصفه آلية من الآليات النّقدية الأساسية التي يقوم عليها التّناص"[25].

ويُقصد به قدرة الأديب على تحويل النّص الأصلي إلى نصّ جديد، مستغلاً في ذلك كل معطيات النّص الأصلي، لكن "**الجرجاني**" لم يسميه بالتّحويل وإنّما أطلق عليه اسماً آخرا هو **الاحتذاء** فقال:" واعلم أنّ الاحتذاء عند الشّعراء وأهل العلم بالشّعر وتقديره وتمييزه أن يبتدئ الشّاعر في معنى له وغرض. والأسلوب: الضّرب من النّظم والطّريقة فيه فيعمد شاعر آخر إلى ذلك الأسلوب، فيجيء به في شعره فيشبه بمن يقطع من أديمه نعالا على مثل نعل قد قطعها صاحبها، فيقال :قد احتذى على مثاله"[26].

ومن القضايا التي لها علاقة وطيدة بالتّناص قضيتا "**الاقتباس والتّضمين**" اللّتان تُدرسان ضمن ما يُعرف بعلم البلاغة، فالاقتباس هو أن يأخذ الأديب من **القرآن الكريم** أو **الحديث النّبوي الشّريف**[27]، دون أن يشير إلى ذلك[28] وهو نوعان، أمّا النّوع الأوّل فيتمثّل في الاقتباس الذي لا يخرج صاحبه عن المعنى الأصلي، وأمّا في النّوع الثاني فيخرج صاحبه عن المعنى الأصلي إمّا بالزّيادة أو النّقصان[29].

وإذا ما عدنا إلى تراثنا العربي القديم نجد أمثلة لا تعدّ ولا تُحصى عن **الاقتباس** في قصائد الشّعراء، نذكر منها ما ورد في قصيدة "**أبي تمّام**" التي يمدح فيها "**أبي سعد محمّد بن يوسف**" فيقول:

قد كان وعدك لي بحراً فصيّرني* يوم الزّماع إلى الضّحضاح والوشل**

وبيّن الله هـــــذا من بريّتـــــه* في قوله: خُلق الإنـــسان من عـــــجل**[30]

إذ يظهر بوضوح أنّ الشّاعر اقتبس من **القرآن الكريم** وبالتّحديد من الآية 37 من سورة الأنبياء في قوله **عزّ وجلّ**:﴿ **خُلِـقَ الإِنْســان مِــن عجــلٍ سأُرِيكُــم آياتِــي فــــلا تَستعجِلُــونِ** ﴾[31].

ويظهر الاقتباس من القرآن الكريم أيضاً في بيته الشّعري، الذي نضمه في وصف ناقة صالح بن عبد القدّوس القرشي التي أوصلته إلى مكّة المكرّمة لأداء مناسك الحج حيث يقول:

فَمرّت مِثْلَما يمشي شَهيد ***سوِيٌ في صِراطٍ مستَقيمِ [32]

إذ يظهر جلياً أنّه اقتبس الآية رقم 6 من سورة الفاتحة في قوله عزّ وجلّ:

﴿ **اهدِنَــا الصّراطَ المستَقِيم** ﴾

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 342–355	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

كما وظّف "**أبو تمّام**" الاقتباس من **الحديث النّبوي الشّريف**، ومن نماذج ذلك ما ورد في مدحه للرّسول – صلّى الله عليه وسلّم–في قوله:

رهطُ الرسولِ الّذي تَقطّع أَسْبَاب البرايا غَداً سِوى سببِه[33]

فالقارئ للبيت يلحظ للوهلة الأوّلى وجود شبه بينه وبين الحديث النّبوي الشّريف الذي مفاده: (**كلّ سبب ونسب ينقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي**[34]

هذه أمثلة قليلة جدّا مقارنةً بما هو موجود عن ملامح التّناص في الموروث العربي عند بعض النّقاد والبلاغيين، وقد كشفت هذه الأمثلة عن وجود فكرة التّناص في أبحاثهم وجهودهم منذ القدم.

4. الاستنتاج:

تندرج قيمة هذا البحث الموجز في لفت انتباه الباحثين إلى ضرورة إعادة النّظر في تراثنا اللّغوي بصفة عامّة، والنّقدي والبلاغي بوجه أخص؛ للكشف عن جهود علمائنا الأجلاء في مجال الدّراسات النّصيّة، وسبقهم إليها قبل العرب بقرون، ذلك أنّهم تطرّقوا إلى الكثير من مباحث الدّرس اللّساني النّصي، وهذا ما لمسناه من خلال هذه الدراسة التي تمّ التسليط الضّوء فيها على معيار من معايير اللّسانيات النّصية والمتمثّل في "**التناص**" فوجدناه حاضراً وبقوّة سواء في دراساتهم النّقدية أم في مباحثهم البلاغية؛ كما أنّنا وجدناه في إنجازاتهم الأدبية الشّعرية منها والنّثرية؛ ممّا يؤكّد الفرضيات السّابقة.

5. الخاتمة:

حاولنا من خلال هذه الورقة البحثية أن نثبت أسبقية علمائنا القدامى ولا سيما النّقاد والبلاغيون منهم إلى فكرة **التّناص** التي تعدّ عند المحدثين من أهمّ النّظريات النّصية الحديثة، ومن ثمّ تفنيد تلك الآراء التي تدعي بأنّها نظرية حديثة النّشأة، فوجدنا أنّ العرب القدماء قد أشاروا إليها، وإن لم يستخدموا المصطلح ذاته، فاستخدموا بدلاً من ذلك العديد من المصطلحات كالسّرقات الأدبية، والاقتباس والتّضمين، والاحتذاء، والأخذ، والمعارضات، والتّلميح...إلخ، التي تتقارب إلى حدّ بعيد من حيث المضمون مع نظرية التّناص.

وحتّى نؤكّد ذلك عرضنا بعض الأقوال التي وردتْ في بحوث هؤلاء العلماء، سواء من النّقاد أمثال: ابن طباطبا، وابن رشيق، وابن قتيبة، أو من البلاغيين كالجرجاني، والجاحظ، والقرطاجنّي التي أكّدت أنّ هذه النّظرية ذات هويّة عربية وبامتياز، ورأينا كيف أسهم التّراث العربي في علم اللّغة النّصي، وكيف أنّ البلاغيين والنّقاد اجتهدوا جميعاً في مختلف القضايا التي تدخل في صميم هذا الدّرس ممّا يُثبت استفادة الغربيين كثيراً من التّراث العربي وانطلاقهم منه في كلّ ما وصلوا إليه من أبحاث في مجال لسانيات النّص.

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 342–355	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

6. الهوامش:

[1] ينظر: فاروق عبد الحكيم دربالة: التّناص الواعي شكوكه وإشكالاته، مجلة النقد الأدبي، فصول، ع1، د ت، ص107.

[2] علم لغة النص، نحو آفاق جديدة. نقلها إلى العربية سعيد حسن بحيري. مكتبة زهراء الشرق. ص: 9، و10.

[3] يُنظر: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، سعيد بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، 2004م، ط1، ص128.

[4] عمّوري سعيد: ديوان سلام على البردة، الغزير للطّباعة والنّشر، دبي، دط، 2014م، ص20.

[5] ينظر :بارت:" من الأثر الأدبي إلى النص"، ترجمة عبد السلام بن عبد الله، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد36، آذار، 1986م، ص115

[6] حصّة البادي: التّناص في الشّعر العربي الحديث، دار كنوز المعرفة العلمية للنّشر والتّوزيع، ط1، ص2.

[7] قراند، النص والخطاب والإجراء، ص104.

[8] عمر أوكان: لذة النّص عند بارث، إفريقيا الشّرق، الدّار البيضاء، المغرب، ص1996 ، ص29

[9] محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التّناص، المركز الثّقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1986، ص123

[10] ابن طباطبا: عيار الشّعر، تحقيق طه الحاجري ومحمد زغلول سلام، المكتبة التجارية الكبرى بشارع محمد علي بالقاهرة، دط، 1956م، ص 78.

[11] أبو علي محمد بن الحسن بن المظفر الحاتم :حلية المحاضرة في صناعة الشعر، تحقيق: جعفر الكّتاني، دار الرشيد، العراق، 1979م، ج2، ص28.

[12] ابن رشيق القيرواني: قراضة الذّهب، مكتبة الخانجي، مصر، ط1، 1926م، ص29.

[13] أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين الكتابة والشّعر، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط10، 1952م، ص197.

[14] حسن جمعة: المسبار في النّقد الأدبي، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، 2003 م،146.

[15] ينظر: ابن منظور لسان العرب، مادة سرق، دار صادر، بيروت، لبنان، 1955م، ج10، 155–156

[16] ينظر: رامي أبو شهاب: مقال بعنوان: مصطلح السّرقات الأدبية والتناص، مجلّة النادي الأدبي الثقافي بجدة، المجلّد16، الجزء64، 2008 م، 229.

[17] ديوان طرفة بن العبد، دار صادر، دار بيروت، بيروت، 1961 م، ص 19

[18] ديوان امرئ القيس حندج بن حجر، ضبطه وصححه مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان، ط5، 2004م، ص111.

[19] يُنظر: ابن قتيبة: الشّعر والشعراء :أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، دار الثّقافة بيروت –لبنان، دط، 1969م، ص55

[20] المقامة الجاحظية، ص109.

[21] الميداني: مجمع الأمثال، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر، ط2، 1959م، ج2، ص189.

[22] ابن طباطبا: عيار الشّعر، ص66–67.

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 342–355	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

[23]الجاحظ: الحيوان، تحقيق وشرح :عبد السلام محمد هارون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1969م، ج3، ص311.

[24] حازم القرطاجنّي: منهج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، الدار العربية للكتاب، تونس، ط3، 2008م، ص941

[25]عبد القادر بقشي: التّناص في الخطاب النّقدي والبلاغي–دراسة نظرية تطبيقية، أفريقيا الشّرق، المغرب، دط، أفريقيا الشّرق، المغرب، 2007م، ص24.

. [26] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص468–469.

[27]ينظر :نور الهدى لوشن:" التناص بين الأصالة والمعاصرة"، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشّريعة واللّغة العربية، وآدابها، ج15، العدد26، 1424 ه، ص 2023.

[28]القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق يوسف علي طويل، دار الفكر ط1، دمشق 197، ج1، ص 237.

[29]ابن حجة: خزانة الأدب، وغاية الأرب: تحقيق عصام شعيتو، دار مكتبة الهلال، بيروت، 1987م ،ج 2، ط1، ص 459 .

[30]ديوان أبي تمام، شرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، دار المعارف ط3، القاهرة، (د.ت)، ج3، ص 9

[31] سورة الأنبياء، الآية 37.

[32] ديوان أبي تمام، ج4 ص 535

[33]ديوان أبي تمام، ج1، ص271.

[34]الألباني محمد ناصر الدين: صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج2، ص 832

7. قائمة المصادر والمراجع:

1–أبو هلال العسكري (1952)،كتاب الصناعتين الكتابة والشّعر، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط10.

2–أبو علي محمد بن الحسن بن المظفر الحاتم (1979)، حلية المحاضرة في صناعة الشعر، تحقيق: جعفر الكّتاني، دار الرشيد، العراق، ج2.

3–ابن طباطبا (1956)، عيار الشّعر، تحقيق طه الحاجري ومحمّد زغلول سلام، المكتبة التّجارية الكبرى بشارع محمد علي بالقاهرة، دط.

4–ابن رشيق القيرواني(1926)، قراضة الذّهب، مكتبة الخانجي، مصر، ط1.

5–ابن منظور (1955) ، لسان العرب، مادة سرق، دار صادر، بيروت، لبنان، ج10.

6–ابن قتيبة (1969) ، الشّعر والشعراء :أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، دار الثّقافة بيروت–لبنان، دط،

7–ابن حجه الحموي، تقي الدين أبو بكر علي بن عبد الله (1987)، خزانة الأدب وغاية الأرب، تحقيق عصام شعيتو، دار مكتبة الهلال ط1، بيروت، ج1و2.

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 342–355	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

8-الميداني (1959) ، مجمع الأمثال، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر، ط2، ج2.

9-القلقشندي (1971)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق يوسف علي طويل، دار الفكر ط1، دمشق ج1.

10-الجاحظ (1969)،الحيوان: تحقيق وشرح :عبد السلام محمد هارون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط3، ج3.

11-محمد مفتاح (1986) ، تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التّناص، المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء، المغرب، ط2.

12-سعيد بحيري(2004)، علم لغة النّص المفاهيم والاتجاهات، مؤسّسة المختار، القاهرة، ط1.

13-عمّوري سعيد (2014) ، ديوان سلام على البردة، الغزير للطّباعة والنّشر، دبي، دط.

14-حصّة البادي (د.ت)، التّناص في الشّعر العربي الحديث، دار كنوز المعرفة العلمية للنّشر والتّوزيع، ط1.

15-عمر أوكان: لذة النّص عند بارث، إفريقيا الشّرق، الدّار البيضاء، المغرب، ص1996 .

16-حسن جمعة:المسبار في النّقد الأدبي، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، 2003.

17-محمد مفتاح (1986) ، تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التّناص، المركز الثّقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2.

18-ديوان طرفة بن العبد،(1961)، دار صادر، دار بيروت، بيروت.

19-ديوان امرئ القيس حندُج بن حُجْر،(2004)، ضبطه وصحّحه مصطفى عبد الشّافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط5.

قائمة المجلّات

1-بارت:" من الأثر الأدبي إلى النص"، ترجمة عبد السلام بن عبد الله، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد36، آذار، 1986م.

2-فاروق عبد الحكيم دربالة: التّناص الواعي شكوكه وإشكالاته، مجلة النقد الأدبي، فصول، ع1، دت.

2023-نور الهدى لوشن:" التناص بين الأصالة والمعاصرة"، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشّريعة واللّغة العربية، وآدابها، ج15، العدد26، سنة النشر، 1424 ه.

3-رامي أبو شهاب: مقال بعنوان: مصطلح السّرقات الأدبية والتّناص، مجلّة النّادي الأدبي الثّقافي بجدة، المجلّد16، الجزء64، 2008 م.